

العلوم معطيات وحقائق سياسية. تحرك خيوطها في مجالات عديدة أيدى خفية يتجاوز نفوذها نفوذ الدولي والمنظمات الدولية الرسمية ) وكى ندرك ما ستفاجئنا به العولمة غداً فلا مناص من الوقوف قليلاً عند المفهوم، كما ينظر له المبشرون به في عقر داره معتبرينه حتمية تاريخية ولكن أحدث الدراسات تثبت أنه من صنع قوى عالمية ذات نظرية مستقبلية عرفت كيف تستغل ظرفاً دولية معينة لتفرض نظرتها إلى مستقبل "معلوم". ومن يتأخر عن الولوج إلى بوابة الكبرى المحكمة الحراسة من طرف سلطة كوبية جديدة تتملي شروطها على جميع الأصفاع عبر قنوات المؤسسات المالية والاقتصادية الدولية يهمش، إن عدم قدرة البشر اليوم على التحكم في القرارات والمعلومات بعد أن تناسب في شبكات الاتصال الإلكترونية جعل الظاهرة تبدو فيما تفرزه يومياً من نتائج إيجابية وسلبية، وهي خطوة نوعية جديدة في تقدم المجتمع البشري رغم جوانبها السلبية التي تبدو في ثنياها هذا الكتاب الذي أضعه أمام القارئ العربي حتى لا تبقى الأمور معلقة في الهواء. فإلى جانب دينامية الانصهار والتكميل والاتحاد وسقوط الجدران والهيآر الحدود قربت المسافات والتحتمت الشعوب على اختلاف لوانها ولغاتها وثقافاتها وساعدت وسائل الاتصال الحديثة على التعريف بحضارة أمم كانت مجاهلة، ومع تصاعد قوى اليمين المتطرف في المجتمعات الغربية ومع انتشار العنف والإرهاب الدولي وعصابات المافيا العابرة للحدود والقارات، آن التي تحمل بمفردها المرتبة السابعة في قائمة القوى الاقتصادية العالمية – بلغ الإنفاق أى على السجون ما يساوي المجموع الكلي لميزانية التعليم وهناك ٢٨ مليون له مواطن أمريكي، ومن هنا فليس بالأمر الغريب أن ينفق المواطنون الأمريكيون على حراسهم للمسلحين ضعف ما تنفق الدولة على الشرطة". (٥) إن هذه البوادر قد جعلت بعض الدارسين يتوقعون عودة الصراعات السياسية والاجتماعية التي عرفتها أوروبا في العشرينات، فقد نصف الوضع الاقتصادي المتأزم وتدحر المستوى المعيشي للطبقة الوسطى، نُيعدُّ هذا أزالـتـ الحـدـودـ وـطـوـتـ المسـافـاتـ وـنـشـرـتـ عـبـرـ وـسـائـلـ الـاتـصـالـ قـيـماـ إـنـسـانـيـةـ جـديـدـةـ مـثـلـ التـسـامـحـ وـالـذـوـدـ عـنـ حـقـوقـ إـلـإـسـانـ أـيـنـماـ كـانـ وـالـاعـتـرـافـ بـهـوـيـةـ الآـخـرـ وـثـقـافـتـهـ مـنـ جـهـةـ، وـتـذـكـرـ بـشـعـوبـ أـهـلـ الـجـنـوـبـ الـذـيـنـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـنـصـهـرـواـ الـبـتـةـ فـيـ مجـتمـعـاتـ أـهـلـ الشـمـالـ حـسـبـ أـيـدـيـوـلـوـجـيـةـ "ـالـتـفـوـقـ الـعـرـفـيـ"ـ الـتـيـ تـبـنـيـاـ قـوـيـ الـيـمـينـ الـمـتـرـفـ وـاضـعـةـ أـفـكـارـ اـدـولـفـ هـتـلـ وـبـنـيـتوـ مـوـسـوليـنيـ فـوـقـ أـيـ اـعـتـيـارـ باـحـثـاـ عنـ كـبـشـرـ فـداءـ يـحـمـلـهـ نـتـائـجـ يـضـمـورـ الطـبـقـةـ الـوـسـطـىـ إـمـاـ دـاـخـلـ الـحـدـودـ يـتـوجـيـهـ أـصـابـعـ الـاتـهـامـ إـلـىـ الـجـالـيـاتـ الـأـجـنبـيـةـ الـمـنـدـرـةـ مـنـ أـصـوـلـ أـسـيـوـيـةـ وـإـفـرـيقـيـةـ، حـيـثـ يـصـبـونـ جـامـ حـقـدـهـ الـأـسـوـدـ عـلـىـ الـمـسـلـمـينـ وـالـعـرـبـ الـذـيـنـ يـعـمـلـونـ فـيـ الـبـلـادـ الـأـوـرـوـيـةـ الـأـوـضـاعـ الـمـعـوـلـةـ إـلـىـ عـدـاءـ نـحـوـ الـآـخـرـ"ـ وـالـمـطـالـبـ بـعـزـلـهـ وـإـبـقـائـهـ بـعـيـدـاـ. وـأـوـدـ إـلـاـشـارـةـ فـيـ هـذـاـ الصـدـدـ إـلـىـ أـنـ هـذـهـ الـدـرـاسـاتـ الـجـديـدـةـ عـنـ صـورـةـ إـلـإـسـلامـ فـيـ الـغـرـبـ الـلـيـوـمـ قـدـ أـكـدـتـ أـنـ الصـورـةـ مـتـأـثـرـةـ إـلـىـ حدـ بـعـيـدـ بـصـورـةـ إـلـإـسـلامـ لـدـيـ الـمـسـيـحـيـيـنـ فـيـ الـعـصـرـ الـوـسـيـطـ وـبـعـقـلـيـةـ الـحـرـوبـ الـصـلـبـيـةـ، وـلـعـصـرـ الصـورـةـ الـخـارـقـةـ الـجـدـرـانـ وـالـعـابـرـةـ الـحـدـودـ مـعـ التـنـظـيرـ لـضـرـورـةـ اـسـتـعـادـ الـغـرـبـ لـنـوـعـ جـديـدـ مـنـ الـصـرـاعـ ضـدـهـ الـإـسـلامـ وـأـهـلـهـ خـاصـةـ وـأـنـ الـعـدـوـ السـابـقـ الـمـعـسـكـ الـشـيـوـعـيـ"ـ الـهـارـ تـامـاـ فـيـ عـامـ ١٩٩٠ـ بـعـدـ عـمـلـيـةـ "ـالـغـلـاسـنـوـسـتـ"ـ الـتـيـ قـامـ بـهـاـ غـورـبـاتـشـوـفـ فـيـ رـوـسـيـاـ. الـحـضـارـاتـ"ـ فـيـ عـامـ ١٩٩٣ـ حـيـثـ تـبـنـيـاـ بـأـنـ الـقـرـنـ الـحـادـيـ وـالـعـشـرـينـ سـيـشـهـدـ صـرـاعـاـ مـرـيـاـ بـيـنـ الـغـرـبـ وـالـإـسـلامـ لـلـسـيـادـةـ عـلـىـ الـكـرـةـ الـأـرـضـيـةـ. وـضـغـطـ بـاتـجـاهـ عـقـدـ اـتـفـاقـيـاتـ "ـسـلـامـ"ـ اـنـتـهـتـ بـشـعارـ "ـلـاـ"ـ غـالـبـ وـلـاـ مـغـلـوبـ"ـ وـخـرـجـ الـمـسـلـمـوـنـ مـنـ هـذـهـ الـمـلـاحـمـ بـلـاـ نـتـيـجـةـ . (٦) وـشـاهـدـنـاـ حـلـفـ الـأـطـلسـ يـشـنـ الـحـرـبـ الـإـجـرـامـيـ ضـدـ دـوـلـةـ أـفـغـانـسـتـانـ الـإـسـلامـيـةـ بـقـيـادـةـ الـوـلـايـاتـ الـمـتـحـدةـ أـمـرـيـكـيـةـ بـحـجـةـ تـعـاظـمـ "ـالـإـرـهـابـ الـإـسـلامـيـ"ـ، فـهـذـهـ الـحـرـبـ الـظـالـمـةـ جـاءـتـ بـمـثـاـبـةـ تـجـسـيدـ لـمـبـدـأـ الـعـولـمـةـ الـذـيـ يـمـنـعـ شـعـوبـ الـعـالـمـ مـنـ الـخـرـوجـ عـلـىـ الطـاعـةـ "ـلـلـأـونـكـلـ سـامـ"ـ. وـلـتـسـمـعـ لـهـ بـوـضـعـ اـسـتـراتـيـجـيـةـ تـهـدـفـ أـسـاسـاـ إـلـىـ مـواجهـةـ خـطـرـينـ: الـخـطـرـ الـقـادـمـ مـنـ بـلـدـانـ شـرقـ أـورـوـبـاـ، وـاشـتـعـلـتـ فـيـهاـ نـيـرانـ الـقـومـيـاتـ الـشـوـفـينـيـةـ وـالـحـرـوبـ الـأـثـنـيـةـ وـالـخـطـرـ الـقـادـمـ مـنـ الضـفـةـ الـجـنـوـبـيـةـ لـلـبـلـحـ الـأـبـيـضـ الـمـتـوـضـ. وـفيـ وـضـعـ اـقـتـصـاديـ مـتـازـمـ قـدـ يـفـجـرـ هـزـاتـ اـجـتـمـاعـيـةـ مـفـاجـئـةـ وـتـلـمـحـهـ بـالـخـصـوصـ فـيـماـ يـسـمـيـ "ـظـاهـرـةـ إـلـإـسـلامـ السـيـاسـيـ الـمـتـرـفـ"ـ. الـحـرـكـاتـ الـأـصـولـيـةـ الـمـتـطرـفةـ فـيـ الضـفـةـ الـجـنـوـبـيـةـ لـلـبـلـحـ الـأـبـيـضـ الـمـتوـضـ"ـ فـيـ هـذـاـ السـيـاقـ كـتـبـ الـخـبـيرـ الـأـمـرـيـكـيـ فـيـ يـقـولـ: "ـوـبـمـاـ أـنـ زـيـادـةـ السـكـانـيـةـ تـتـرـكـزـ فـيـ أـفـقـ مـنـاطـقـ الـمـعـمـورـةـ، (R. Kaplan)ـ شـؤـونـ الـعـالـمـ الـثـالـثـ روـبـرتـ كـابـلـانـ وـحـولـ مـنـ سـيـحـارـبـ مـنـ؟ـ فـمـنـ بـيـنـ الـاثـنـيـنـ وـالـعـشـرـينـ دـوـلـةـ عـرـبـيـةـ يـنـخـفـضـ النـاـجـقـومـيـ فـيـ سـبـعـ عـشـرـ دـوـلـةـ مـنـهـ، وـهـذـاـ فـيـ وـقـتـ يـتـوقـعـ فـيـهـ الـمـرـءـ أـنـ يـتـضـاعـفـ حـجمـ السـكـانـ فـيـ بـعـضـ هـذـهـ الدـوـلـ فـيـ الـعـشـرـيـنـ سـنـةـ الـقـادـمـةـ. فـيـ هـذـاـ جـزـءـ مـنـ الـعـالـمـ سـيـكـوـنـ إـلـإـسـلامـ بـسـبـبـ تـأـيـيـدـهـ الـمـطـلـقـ لـلـمـقـهـورـيـنـ وـالـمـظـلـومـيـنـ أـكـثـرـ جـانـبـيـةـ، فـهـذـاـ الـدـيـنـ الـمـطـرـدـ الـأـنـتـشـارـ عـلـىـ الـمـسـتـوـىـ الـعـالـمـيـ هوـ الـدـيـانـةـ الـوـحـيـدةـ الـمـسـتـعـدـةـ لـلـمـنـازـلـ وـالـنـضـالـ"ـ. فـالـوـاـضـحـ أـنـ أـيـ تـهـدـيـدـ لـمـصـالـحـ الـلـوـلـايـاتـ الـمـتـحـدةـ تـجـيـبـ عـلـيـهـ الـحـكـومـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ بـإـطـلاقـ الصـوارـيخـ وـإـطـلاقـ كـلـابـ الـحـرـبـ مـنـ عـقـالـهـ. فـمـنـ يـحـاـولـ حـمـاـيـةـ ثـرـوـتـهـ الـقـومـيـةـ يـعـاقـبـ بـقـسـوـةـ حـتـىـ يـرـتـدـعـ لـيـسـ صـحـيـحاـ إـذـنـ أـنـ الـعـولـمـةـ فـيـ حـقـيقـتـهـاـ تـقـومـ عـلـىـ كـوـنـ الرـأـسـمـالـ لـاـ وـطـنـ لـهـ"ـ. وـلـكـنـهـ فـيـ جـمـيعـ الـأـحـوـالـ مـحـدـودـ بـحـدـودـ الـمـصـالـحـ الـقـومـيـةـ حـتـىـ لـوـ كـانـ الـأـمـرـ يـتـعـلـقـ بـ

"الشركات متعددة الجنسية". ذلك لأن هذه الشركات إذا كانت تنتشر في العالم على صعيد التسويق والإنتاج فهي تحتفظ بالوطن" الأصل كمركز للقرار، أما في الولايات المتحدة الأمريكية فالبحث عن الهوية والعمل على صورة تأسيس الهوية وطلب الخصوصية من طرف دعاة العولمة أنفسهم. بل أيضاً على : المالية التي تفرض نفسها هنا هي التالية: إن التعارض بين العولمة ومسألة العامرة يعيشها الغرب نفسه، وبين بقية العالم / "الجنوب" بوصفه المدافع عن ن الهوية والخصوصية ضد العولمة واجتياحاتها. للعولمة تجليات اقتصادية وسياسية وثقافية واتصالية وتحليلات الاتحادية تظهر الإسلامي نمو وتعمق الاعتماد العادل بين الدول والاقتصادات الترابية وفي الوحدة الأسوق المالية وفي تعمق المبادلات التجارية، والتي اتخذت مساراً أكثر وضوحاً وتميزاً مع الميار نظام الحكم الاستعماري والبدء بممارسة أشكال جديدة للهيمنة والاستغلال الرأسماليين على اقتصاديات وشعوب بلدان القارات الثلاث، ثم تسارعت هذه العملية في أعقاب الهيار بلدان "المنظومة الاشتراكية" وتفكك الاتحاد السوفيaticي وغياب مجلس التعاوني الاقتصادي. مستوى تطور القوى المنتجة في الجزء الأكبر تقدم من العالم الرأسمالي وبتعاظم الطابع الاجتماعي للقوى المنتجة. ن التطور والمنافسة بتطوير القوى التناغم الننى للمطلوب بينها وبين علاقات الإنتاج الرأسمالية. المنتجة وتغيير بنية الإنتاج والخدمات وإنتاجية العمل وعلى استخدامها الواسع للمنجزات الحديثة في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفنية والثقافية والسياسية والإعلامية والبيئية